نقد النظرة الاستشراقية في دعوى التناقض في القرآن الكريم

Critique of the Orientalist View on the Alleged Contradictions in the Qur'an

عودة عبد عودة عبد الله[1] * / محمد خالد حيادري[2]

Odeh A O Abdullah[1] / Mohammad K Hiadry[2]

جامعة النجاح الوطنية (فلسطين)

An–Najah National University (Palestine)

2 hiadry@gmail.com 1 Odeh74a@najah.edu

2 00972525105867 1 00970599982605

تاريخ الإرسال:	تاريخ القبول:	تاريخ النشر: ....

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى نقد الدعاوى الاستشراقية التي تزعم وجود تناقض في القرآن الكريم، من خلال تحليل مناهج المستشرقين وكشف خلفياتهم الفكرية والأيديولوجية المؤثرة في قراءاتهم للنص القرآني. اعتمدت الدراسة مناهج استقرائية وتحليلية ونقدية في تتبع أقوال أبرز المستشرقين أمثال جولدزيهر وكازانوفا ووات، وتحليل طرائقهم في تناول النصوص، وبيان الخلل المنهجي في فهمهم لطبيعة الوحي وتطور الخطاب القرآني بين المكي والمدني. وأظهرت النتائج أن هذه الطروحات تنطلق من رؤية مادية تحجب البعد الإلهي للوحي، وتتجاهل السياقات التاريخية واللغوية والموضوعية للقرآن الكريم. وخلص البحث إلى أن دعاوى التناقض المزعوم تفتقر إلى الأساس العلمي والموضوعي، وأن الدراسة المنهجية الرصينة تكشف انسجام النص القرآني واتساقه الكلي في البناء والمعنى والمقاصد، مما يؤكد مصدره الإلهي ووحدته المعجزة.

الكلمات المفتاحية: (استشراق، تفسير، قرآن، شبهات)

---

* عودة عبد الله: odeh74a@najah.edu

Abstract :

This study aims to critique the orientalist claims that assert the existence of contradictions in the Qur'an, by analyzing the methodologies of orientalists and uncovering the intellectual and ideological backgrounds influencing their interpretations of the Qur'anic text. The research employed inductive, analytical, and critical approaches to trace the statements of prominent orientalists such as Goldziher, Casanova, and Watt, examining their methods in addressing the texts and highlighting the methodological flaws in their understanding of the nature of revelation and the development of Qur'anic discourse between the Meccan and Medinan periods. The findings indicate that these claims are based on a materialistic perspective that obscures the divine dimension of revelation and neglects the historical, linguistic, and contextual aspects of the Qur'an. The study concludes that the alleged contradictions lack scientific and objective grounding, and that a rigorous methodological analysis reveals the coherence of the Qur'anic text, its holistic consistency in structure, meaning, and objectives, thereby affirming its divine origin and miraculous unity.

Keywords: Orientalism, Tafsir, Qur'an, Allegations

1. مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الهادي الأمين، وبعد:

فقد حظيَ القرآن الكريم بالعناية والاهتمام البالغيْن من قبل العلماء الربانيين والعبّاد العاملين، ما بين مفسّر مبيّن شارح له، وباحث عن فرائد الدر التي يحويها، ومتصدّر للرد على كيد المتربّصين والمشككين، وفي مقدّمتهم المستشرقون الذين يشكلون مظهراً من مظاهر الغزو الفكري، بادّعائهم وجود التناقض في النص القرآني، منطلقين في ذلك غالباً من مناهج غربية تستند إلى خلفيات معرفية مغايرة لبيئة النص وسياقه الديني والثقافي، مما أفضى إلى استنتاجات لا تعكس حقيقة دلالات الخطاب القرآني.

ويأتي هذا البحث في سياق نقد ادعاءات المستشرقين بوجود تناقض في القرآن الكريم، إدراكاً لأهمية هذا النوع من الدراسات القرآنية المعاصرة، التي تعزز من حضور الخطاب العلمي الرصين في الرد على الطروحات المغلوطة، وتسهم في إغناء حقل الدراسات القرآنية بقراءات نقدية مؤصلة تستند إلى أدوات معرفية رصينة ومنهجية متوازنة. لأن التعامل مع الطروحات الاستشراقية، يقتضي ردًّا علميًّا منهجيًّا

لا يقتصر على البعد العاطفي أو الدفاعي، لأنّ الرد العلمي المؤصل يُعد السبيل الأنجع لتصحيح المفاهيم المغلوطة، وتعزيز مكانة الخطاب القرآني في الساحة الفكرية العالمية.

1. 2 أهمية الدراسة

تكمن أهمية هذه الدراسة في النقاط التالية:

1. الدفاع عن القرآن الكريم بطريقة لا تقوم على الانفعال أو الخطاب العاطفي، بل على التحليل النقدي والحجاج العلمي.
2. تصحيح المفاهيم المغلوطة القائمة على افتراضات خاطئة أو قراءة مجتزأة للنص القرآني.
3. كشف الخلل المنهجي في الدراسات الاستشراقية التي تعتمد مناهج غربية وتتجاهل السياقات المحيطة بالنص القرآني.
4. تعزيز الخطاب العلمي الإسلامي الذي يدفع باتجاه إنتاج معرفة قرآنية معاصرة قائمة على أسس أكاديمية علمية منهجية.
5. تقديم نموذج عملي للباحثين في كيفية التعامل النقدي مع الطروحات الفكرية غير الإسلامية حول القرآن الكريم، وكيفية الرد عليها.

1. 3 مشكلة البحث

تكمن مشكلة الدراسة في نقد دعاوى المستشرقين في وجود التناقض في القرآن الكريم وذلك من خلال الإجابة عن الأسئلة التالية:

1. ما هي دوافع المستشرقين في ادّعاء وجود التناقض في القرآن الكريم؟
2. ما مدى التزام المستشرقين بالإنصاف والموضوعية في ادعائهم وجود التناقض في القرآن الكريم؟
3. ما السبل المنهجية والعلمية في الرد على هذه الادعاءات وتفنيدها؟
4. هل تأثر المستشرقون في ادّعاءاتهم بخلفياتهم الأيديولوجية والفكرية؟

1. 4 أهداف الدراسة

تهدف الدراسة إلى توضيح وبيان الأمور التالية:

1. بيان دوافع المستشرقين في ادعاء وجود التناقض في القرآن الكريم.
2. تقييم مدى إنصاف المستشرقين في عرض هذه الدعاوى.

3. الرد العلمي على هذه الدعاوى وتفنيدها.
4. بيان أن هذه الدعاوى نابعة من دراسات غير موضوعية لدى المستشرقين.

1. 5 منهج البحث

اعتمدت هذه الدراسة على مجموعة من المناهج العلمية المتكاملة، وذلك على النحو الآتي:

1. المنهج الاستقرائي: تتبّع الباحثان أقوال المستشرقين ومواطن تناولهم للنصوص القرآنية، والمواضع التي اتخذوها مدخلًا للتشكيك أو الطعن، بهدف الكشف عن طرائقهم في تناول قضايا القرآن الكريم.
2. المنهج التحليلي: قام الباحثان بتحليل أقوال المستشرقين ومناقشتها، بالاستعانة بترجيحات المفسرين، لبيان الفهم الصحيح للنصوص القرآنية وفق أصول التفسير الصحيحة.
3. المنهج النقدي: تناول الباحث أقوال المفسرين المتعلقة بالآيات التي دار حولها طرح المستشرقين، معرِّضًا هذه الأقوال للنقد العلمي والموازنة، وصولًا إلى الفهم السليم لمعاني القرآن الكريم بما ينسجم مع كليّات الدين ومقاصد الشريعة، مع تفنيد الطرح الاستشراقي المضلِّل.

1. 6 الدراسات السابقة

بذل العلماء والباحثون المسلمون جهودًا مشكورة في الرد على المستشرقين وبيان الحقائق المتعلقة بالوحي القرآني، ويُعد هذا الموضوع من القضايا المتجددة التي تستحق البحث المستمر لما لها من أهمية في الدفاع عن القرآن الكريم وتصحيح المفاهيم. وفيما يأتي أبرز ما كُتب في هذا المجال:

1. كتاب دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، للشيخ محمد الغزالي، وقد تضمَّن ردودًا قوية على شبهات المستشرقين، وتفنيدًا لمزاعمهم الواردة في كتاب العقيدة والشريعة في الإسلام للمستشرق "جولد تسيهر"، غير أن معالجة الغزالي اقتصرت على تناول الشبهات المتعلقة بالوحي القرآني بصورة مختصرة.
2. كتاب الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي ونقده، للدكتور محمود ماضي، حيث تناول المؤلف شبهات المستشرقين حول الوحي القرآني بالعرض والتحليل والنقد، معتمدًا في مناقشاته على الأدلة النقلية والعقلية، مبيّنًا تهافت الطرح الاستشراقي في هذا الباب
3. أطروحة دكتوراه بعنوان الاستشراق على المنهج العقدي الإسلامي بالهند (1850م–1950م): دراسة نقدية، للباحث سعيد أحمد هندي، من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام

2003م. عرض فيها الباحث أثر الاستشراق في تفريق صفوف المسلمين، وبيّن انعكاساته على الواقع الديني في الهند خصوصًا والعالم الإسلامي عمومًا.

4. بحث بعنوان شبهات المستشرقين حول الوحي القرآني، للباحثين ستار الأعرجي وإيناس الدروغي، منشور عن المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية سنة 2015م. عرض البحث لنماذج من الروايات التي اعتمدها المستشرقون في شبهاتهم.

5. بحث بعنوان شبهات المستشرقين حول الوحي والرد عليها، للباحث إبراهيم عبد اللطيف، منشور في كلية دار العلوم – جامعة المنيا سنة 2006م. تناول فيه الباحث أبرز الشبهات التي أثارها المستشرقون حول الوحي القرآني، وردّ عليها بشكل إجمالي.

1 .7 خطة البحث

عمد الباحثان إلى تقسيم هذا البحث إلى مقدمة وخاتمة وثلاثة مباحث. على النحو الآتي:

المبحث الأول: مفهوم الاستشراق وأهدافه ودوافعه

المبحث الثاني: النظرة الاستشراقية إلى النص القرآني وأُسس دعوى التناقض فيه

المبحث الثالث: مناقشة الدعاوى الاستشراقية في التناقض المزعوم في القرآن الكريم ونقدها

2. المبحث الأول: مفهوم الاستشراق وأهدافه ودوافعه

2 .1 المطلب الأول: تعريف الاستشراق ونشأته وتطوره

الاستشراق Orientalism تعبير يدل على الاتجاه نحو الشرق، والبحث في أمور الشرقيين وثقافتهم وتاريخهم. ويقصد به ذلك التيار الفكري الذي يتمثل في إجراء الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، والتي تشمل حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته. ولقد أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن الشرق عامة وعن العالم الإسلامي خاصة، معبراً عن الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بينهما1. وهو أسلوب فكري قائم على تمييز وجودي ومعرفي بين الشرق والغرب، ويستخدم دراسات أكاديمية يقوم بها علماء غربيين للإسلام والمسلمين من جوانب شتّى، وذلك لأهداف وأغراض مختلفة ومتعدّدة2.

يقول الدكتور محمد الجليند: "أطلق لفظ الاستشراق على تلك المحاولة التي قام ويقوم بها بعض مفكري الغرب للوقوف على معالم الفكر الإسلامي وحضارته وثقافة الشرق وعلومه. كما أطلق لفظ

مستشرق على المفكرين المشتغلين بدراسة علوم الشرق وتاريخه وحضارته وأوضاعه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية"3.

ولم يكتف المستشرقون بدراسة التاريخ الإسلامي، بل تعدَّاهُ إلى كل ما يتَّصل بالإسلام والمسلمين من تفسير وحديث وفقه وأدب وحضارة وسكان وغيرها، فأصبحت كُتُبُهُمْ مراجع غير موضوعية لطلبة العلم المتخصصين في المعاهد والجامعات العالمية4.

ويصعب تحديد بداية الاستشراق، فقد يعود به البعض إلى أيام الدولة الإسلامية في الأندلس، في حين يعود به آخرون إلى أيام الصليبيين، بينما يرجعه كثيرون إلى أيام الدولة الأموية في القرن الثاني الهجري، وأنه نشط في الشام بواسطة الراهب يوحنا الدمشقي في كتابين الأول؛ حياة محمد، والثاني: حوار بين مسيحي ومسلم ليرشد النصارى في جدل المسلمين.

وقد بدأ الاستشراق اللاهوتي بشكل رسمي حين صدور قرار مجمع فيينا الكنسي عام 1312م وذلك بإنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوروبية، ولم يظهر مفهوم الاستشراق في أوروبا إلا مع نهاية القرن الثامن عشر، فقد ظهر أولا في إنجلترا عام 1779م ، وفي فرنسا عام 1799م كما أدرج في قاموس الأكاديمية الفرنسية عام 1838م. وقد قام المستشرقون بدراسات متعددة عن الإسلام واللغة العربية والمجتمعات المسلمة، ووظفوا خلفياتهم الثقافية وتدريبهم البحثي لدراسة الحضارة الإسلامية والتعرف على خباياها لتحقيق أغراض الغرب الاستعمارية والتنصيرية5. ومن أوائل هؤلاء الرُّهبان، الراهب الفرنسي «جربرت» Jerbert الذي انتخب بَابَا لكنيسة روما عام 999 م بعد تعلُّمه في معاهد الأندلس وعودته إلى بلاده، و«بطرس المحترم» Pierre Aénéré 1156 - 1092 و«جيرار دي كريمون» Gérard de Grémone 1187 - 1114 ، وعقد أول مؤتمر للمستشرقين في باريس عام 1873، وتتالى عقد المؤتمرات التي تلقى فيها الدراسات عن الشرق وأديانه وحضارته وما تزال تعقد حتى هذه الأيام6.

2 .2 المطلب الثاني: دوافع الاستشراق وأهدافه

بدأ الاستشراق كبادرة طبيعية لاستكشاف "الآخر الشرقي" من قبل الغربي، مدفوعًا بحب الفضول لمعرفة الثقافات والحضارات والأديان المختلفة في الشرق. في البداية كانت هذه المحاولات ثقافية وحضارية بحتة، دون رفض للتراث الشرقي، إلا أنّ تزايد الوعي بتاريخ الشرق العريق وثقافته المتكاملة، وما تحمله من قيم وطموحات وجهاد، أثار لدى الغربي مشاعر الخوف من هذه القوة الحضارية. نتيجة لذلك،

تحوّل الاستشراق تدريجيًا من مجرد فضول طبيعي إلى نشاط سياسي وثقافي يتسم بالحذر والمواجهة، إذ أصبح يُنظر إلى الإسلام ليس كمجرد فكرة تستحق الدراسة، بل كتهديد محتمل للغرب.

وعليه، يمكن تحديد الدوافع الأساسية للاستشراق فيما يأتي7:

الدافع العلمي: سعى المستشرقون عبر هذا الدافع لوضع خطط دقيقة لدراسة الشرق الإسلامي، سواء كانت هذه الدراسات صادقة ومحايدة أم مشوبة بالغموض في أهدافها الحقيقية. ويشير فاروق عمر فوزي إلى أنّ بعض هذه الدراسات تقدم قيمة في تفسير التاريخ الإسلامي، لكنها تضمنت أحيانًا تحريفات أو تشويهات، ناتجة عن جهل النصوص العربية، أو تأثير البيئة الثقافية والأفكار التي نشأ فيها المستشرق، مما أظهر أن الدافع العلمي لم يكن دائمًا محايدًا.

الدافع الديني التبشيري: ارتبط هذا الدافع بالسعي للتمايز العرقي والديني بين حضارتي الشرق والغرب، حيث مثلت المسيحية الغرب وأفكاره وحضارته، وارتبطت بمشاريع سياسية مثل الحروب الصليبية. وكان الهدف إعادة تشكيل صورة الشرق ليكون العالم تحت سلطة مسيحية عالمية، مع تصنيف المسيحيين في المرتبة الأولى بحسب معتقداتهم، وهو ما انعكس لاحقًا في سياسات بعض رجال الدين الأوروبيين وأفكار مفكرين مثل دانتي، الذين تصوروا دولة عالمية يحكمها المسيحيون.

الدافع الاستعماري: أسهم هذا الدافع في توجيه حركة الاستشراق نحو أساليب جديدة لجمع المعلومات عن الشرق المسلم، مدعومًا بالقوة العسكرية الغربية. وساعدت هذه السيطرة على الأرض والفرد والثقافة في ترسيخ صورة الشرق كمجتمع متخلف، تُلقى عليه مسؤولية تأخره الحضاري بسبب دينه وأفكاره وثقافته، وهو ما أكمل الصورة السابقة المرسومة في الدافع التبشيري.

ويرى محمد قطب رحمه الله أنَّ الهزائم التي تكبّدها الصليبيون في حملاتهم الأولى ضد المسلمين (القرنان الخامس والسادس هجريًا / الحادي عشر والثاني عشر ميلاديًا)، وما تلاها من تجارب مريرة —— كوقوع لويس التاسع ملك فرنسا أسيرًا في المنصورة —— دفعت قادتهم إلى استخلاص درس استراتيجي: أنَّ المواجهة بالسلاح وحده لا تكفي لهزيمة المسلمين، بل يجب استهداف عقيدتهم باعتبارها مصدر قوتهم.

ومن هنا نشأ ما يسميه قطب «الغزو الفكري»؛ أي محاولة تقويض التمسك بالإسلام عبر وسائل ثقافية وتربوية وإعلامية بالدرجة الأولى. ويذكر أمثلة تاريخية تدعم هذا التحول: تصريح غلادستون في البرلمان البريطاني عند دخوله مصر (1822) بشأن المصحف كعائق أمام الاستقرار البريطاني، وشهادة

مؤتمرات المبشرين (مصر 1906) التي عبّرت صراحةً عن تغيير الهدف من التنصير إلى صرف المسلمين عن دينهم، وهو ما أكّده «الأب زويمر» باعتراف واضح حول نجاح البرامج التبشيرية في تحقيق ذلك.

وبالتالي فإنَّ هذه الخطط والاعترافات تُظهر بجلاء أنَّ الغزو الإنجليزي–الصليبي لم يقتصر على القوة العسكرية، بل تجهّز أيضاً بأساليب فكرية ممنهجة تهدف إلى اقتلاع العقيدة وإضعاف الهوية الإسلامية، وذلك عبر المناهج التعليمية ووسائل الإعلام كحقلَيْن رئيسيَّيْن للعملية8.

3. المبحث الثاني: النظرة الاستشراقية إلى النص القرآني وأُسس دعوى التناقض فيه

لم يدخر الفكر الاستشراقي جهدًا في المسّ بمصداقية النص القرآني وقدسيته، فبجهود متواصلة سعى المستشرقون إلى صرف القرآن عن مصدره الإلهي الحكيم. وقد تمثّل ذلك في محاولاتهم المتكررة لنزع القداسة عن النص، وتحويله إلى كلام بشري عادي، من خلال البحث عن مواطن الشبه بين لغة القرآن ولغة البشر، وزعموا خطأً أنّ أسلوب القرآن يشبه إلى حد كبير الشعر العربي القديم من حيث الوزن والقافية. وهذا يعكس، وفقًا لما يراه الباحثون، مستوى الجهل بالنص القرآني وعمق الحقد الفكري تجاهه.

3. 1 المطلب الأول: رأي المستشرقين في مصدرية القرآن الكريم

اتجهت مدارس الاستشراق المختلفة إلى محاولة تفسير طبيعة الوحي المنزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، في سياق جهود متضافرة لإنكار نبوة الرسول الكريم والقول ببشرية القرآن، على أنّه من صنع النبي نفسه. وقد تجلّى هذا المنهج في سعي المستشرقين إلى تحييد القرآن عن مصدره الإلهي، من خلال البحث عن أي شبه أو مماثلة بين نصوص القرآن وما سبق في الكتب السماوية أو التراث الديني لليهود والنصارى، وإطلاق أحكامهم على أنّ القرآن مستقى من هذه المصادر. ومن أبرز المستشرقين:

(1) إغناس جولدزيهر Ignác Goldziher: اتهم النبي صلى الله عليه وسلم بالاستفادة من التاريخ الديني للعهد القديم، وزعم أنّ تبشير النبي كان مزيجًا من معارف دينية عرفها أو استقاها من اليهود والنصارى، واعتبر أنّ النبي أخذ هذه التعاليم عنهم ووظفها كوسيلة للوحي9.

(2) رودي بارت R. Paret أيد جولدزيهر في القول بأن القرآن ليس وحيًا إلهيًا، بل صياغة بشرية مستمدة من أحداث وتقاليد سابقة، مدعياً أنّ النبي أعاد صياغتها بلغته الخاصة ثم ادعى أنّها من الله10.

(3) ألفريد جيوم A. Guillaume: زعم أنّ النبي اطلع على الديانتين اليهودية والمسيحية لتوجيه قومه، مستدلًّا على ذلك بآية سورة يونس: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ﴾ [يونس: 94]، مفسّرًا هذا على أنّ النبي لجأ إلى مصادر خارجية في بحثه عن الهداية11.

(4) كارل بروكلمان Carl Brockelmann: ادعى أنّ معرفة النبي بالكتب المقدسة كانت سطحية ومليئة بالأخطاء، وأنه تأثر بالمعلمين المسيحيين واليهود خلال رحلاته واتصالاته بمختلف الجماعات12.

(5) بلاشيرBlachere: رأى أنّ التأثير المسيحي واضح في بعض السور المكية الأولى، مستشهدًا بمقارنة نصوص القرآن بما كان متداولًا في إنجيل الطفولة والنصوص البيزنطية، وزعم أنّ النبي تلقى تعاليمه من راهب خارج عن العقيدة القويمة13.

(6) هنري ماسيه:(H. Masse) : ذهب إلى تفسير الوحي على أنّه نتيجة تصورات ذاتية أو رؤى صوفية أو أثر الصوم والاجتهاد البدني، معتبراً أنّ النبي قد أخذ هذه الرؤى ووظفها في دعوته14.

هذه نبذة من أقوال المستشرقين حول مصدرية القرآن الكريم، ورغم محاولاتهم المتكررة لربط القرآن بالكتب السماوية السابقة واستنتاج أنّه نتاج تقليد بشري، إلا أنّ هذه الادعاءات تبوء بالفشل عند أول مقارنة بين القرآن وغيره من الكتب السماوية. فالقرآن وإن استوعب بعض عناصر موجودة في الكتب السابقة، إلا أنّ ذلك لا يعني أنّه من عند البشر، بل إن أي اتفاق محدود يختلف جذريًا عن النقل أو الاقتباس المباشر. والحق أنّ رسالات الأنبياء كافة —— من آدم إلى خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم —— مصدرها واحد، وتهدف في أصولها الأساسية إلى هداية البشر وإصلاح النفوس، متفقة في المبادئ الأساسية: الإيمان بالله الواحد، والرسالة النبوية، والآخرة، والأخلاق، والفضائل. وتختلف هذه الرسالات في بعض الفروع حسب الزمان والمكان، بما يخدم مصلحة الإنسان دون المساس بالجوهر العقائدي15.

وبناءً عليه، يمكن القول إنّ كل محاولات المستشرقين في الطعن بمصدرية القرآن هي محاولات منهجية فاشلة، تهدف إلى التشكيك في الإعجاز الإلهي للنص، لكنها تبوء بالفشل أمام الوضوح التاريخي واللغوي والشرعي للنص القرآني.

3. 2 المطلب الثاني: أسباب قول المستشرقين بالتناقض في القرآن الكريم

يفتقد الكثير من المستشرقين إلى الركائز الأساسية للمنهج العلمي، وهي العدل والنزاهة والموضوعية. ومن هذا المنطلق، استغل كل منهم ما تيسّر له من وسائل وأدوات في سبيل توظيفها للنيل من القرآن الكريم، ومحاولة تصويره على أنّه متناقض. وفيما يلي أبرز الأساليب والأسباب التي اعتمدها المستشرقون لاتهام القرآن بالتناقض.

أولا: سوء فهم مرحلية الإسلام ودعوة النبي صلى الله عليه وسلم

لاحظ الباحثان أنّ المستشرقين يرمون القرآن بالتناقض عندما يُنشئون موازنة ومقارنة بين العهد المكي والعهد المدني، فتراهم يخلطون في دعواهم على القرآن الكريم يتّهمونه بالتناقض. يقول جولدزيهر: "فلا يوجد كتاب تشريعي اعترفت به طائفة دينية اعترافاً عضوياً على أنه نص منزل أو موحى به يقدم نصه في أقدم عصور تداوله مثل هذه الصورة من الاضطراب وعدم الثبات كما نجد في النص القرآني"16.

والحقيقة ألا تناقض، بل هو عين الحكمة، فالخطاب المكي جاء متناسبًا مع بداية الدعوة وبناء الوعي الروحي للأمة، بينما الخطاب المدني جاء بعد اكتمال الدعوة وتحقق مبدأ التراكمية، مما اقتضى أسلوبًا مختلفًا يلائم المرحلة الجديدة. وبذلك، فإن اختلاف الخطاب بين مكة والمدينة يُعد تدرجًا حكيمًا في التربية والتوجيه، مؤكدًا على دعوة التوحيد والعبودية الخالصة لله عز وجل، دون أي تناقض حقيقي.

ثانيا: الفهم الخاطئ لشخصية النبي صلى الله عليه وسلم

عندما يفترض المستشرق أن النبي صلى الله عليه وسلم مجرد بشر لم يُوحَ إليه، فإنه يظل حبيسًا جهله التحليلي، وغارقًا في قيود التفسير القاصر، مما يقوده حتمًا إلى الادعاء بوجود تناقض في القرآن. ذلك لأنه لا يعترف بالنص على أنّه كلام الله تعالى، بل يراه كلام بشر، فتفقد محاولاته كل صلة بالموضوعية العلمية والمنهجية الصحيحة في دراسة القرآن.

يقول جولزيهر: "وفى خلال النصف الأول من حياته اضطرته مشاغله إلى الاتصال بأوساط استقى منها أفكاراً أخذ يجترها في قرارة نفسه، وهو منطو في تأملاته أثناء عزلته، ولميل إدراكه وشعوره للتأملات المجردة والتي يلمح فيها أثر حالته المرضية، نراه ينساق ضد العقلية الدينية والأخلاقية لقومه الأقربين والأبعدين. ومن الحق أن تلاحظ أن الجماعة التي تقوم على حياة القبائل العربية وأعرافها وتقاليدها فحسب، لا يمكن أن يكون لها أخلاق عالية بسبب وثنيتها الغليظة الجوفاء"17. وبعدها ببضع صفحات يأتي على الفترة المدنية فيقول: "ولكن إذا كان محمد في حالته الجديدة قد استمر في الشعور برسالته وبوجوب تأديتها، فإن تبشيره قد اتخذ إلى جانب هذا اتجاهاً جديداً، فلم يصبح حديثه حديث من استولت عليه الرؤى المشبعة بالدار الآخرة وما يكون فيها؛ بل إن تلك الحالة الجديدة جعلت منه أيضاً مجاهداً وغازياً، ورجل دولة، ومنظم جماعة جديدة أصبحت تتسع وتنمو شيئاً فشيئاً، عندئذ اتخذ الإسلام باعتباره نظاماً شكله النهائي"18.

يتتضح من هذا القول أنّ جولدزيهر ينظر إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم من منظور سلوكي وتحليلي صرف، بعيداً عن البُعد الروحي والديني لشخصيته. فهو يصف مراحل حياته كمجرد

سلسلة من التأثيرات الاجتماعية والظروف الفردية، معتبرًا أفكاره وقراراته انعكاسًا لحالته النفسية أو المرضية، ويرى تبشيره ونشاطه المدني مجرد استجابة لظروف جديدة، دون أن يقر بأن الرسالة نابعة من وحي إلهي. هذا المنظور يُظهر أنّ جولدزيهر لم يفهم شخصية النبي صلى الله عليه وسلم باعتباره رسولًا مُرسلاً من الله، جامعًا بين البعد الروحي والقيادة الأخلاقية والاجتماعية والسياسية، بل حصرها في مظاهر بشرية محضة. ومن هنا يتبين أنّ تحليله للنبي ولرسالته الإسلاميّة غير مكتمل، ويقوده إلى نتائج ناقصة ومتحيزة حول مصدرية القرآن وطبيعة الرسالة، بعيدًا عن الموضوعية العلمية الحقة.

ثالثا: عدم إدراك قضية الشمول في الدعوة الإسلامية

لم يدرك المستشرقون حقيقة شمول الدعوة الإسلامية وأبعادها الكونية، إذ إنّ الإسلام لا يقتصر على جانبٍ بعينه، بل يشمل جميع المستويات الدنيوية والأخروية. فهو في ميدان الفكر يدعو إلى التأمل والنظر العقلي، وفي ميدان العبادة يربط بين العقيدة والعمل، كما يحضر الإسلام في الخطاب العقلي والوجداني والروحي، وفي معالجة قضايا النفس الإنسانية وكشف عيوبها وإصلاحها، مما ينعكس أثره على صلاح المجتمع. بل إنّ للإسلام موقفًا واضحًا حتى في ميادين المعارك وسائر شؤون الحياة. وإضافة إلى ذلك، قدّم الإسلام تصوّرًا متكاملًا عن العالم الآخر، يشمل مصير الأمم والأفراد على حدّ سواء. هذه الشمولية في الرؤية والمضمون لم يستوعبها بعض المستشرقين؛ ومنهم جولدزيهر، الذي عجز عن فهم اتساق الخطاب النبوي وتكامله، فظنّ وجود تغايرٍ في أقوال النبي عليه السلام الواردة في سياقات مختلفة.

رابعاً: نسبة القرآن إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم

من وجهة نظر الكثير من المستشرقين فإن القرآن الكريم هو كلام محمد، ومحمد في نظرهم كغيره من البشر يمكن أن يكون كلامه متناقضا وفق زعمهم. سواء جاء به من عند نفسه أو تأثر بما ورد في الكتب السماوية السابقة. يقول جولد تسيهر: "فتبشير النبي العربي ليس إلا مزيجا منتخبا من معارف وآراء دينية عرفها أو استقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها، التي تأثر بها تأثرا عميقا، والتي رآها جديرة بأن توقظ عاطفة دينية حقيقية عند بني قومه19".

خامسا: القول بتعدد المصادر التي أخذ منها محمد القرآن

وفي ذلك يصرّح المستشرق الإنكليزي مونتجمري وات بأن سبب الاختلاف الموجود في الآيات القرآنية هو اختلاف المصادر التي اعتمد عليها محمد صلى الله عليه وسلم في تأليفه للقرآن، حيث يقول:

"ولذلك كانت السور القرآنية الأولى التي تتحدّث عن الوحدانية تضع القرآن في مرتبة الوحدانية اليهودية المسيحية، أما السور القرآنية الأخيرة فإنّها تقترب من التعاليم الإنجليية القديم منها والحديث"20. وهذا يشبه إلى حد كبير كلام جولدزيهر في مسألة المكي والمدني من القرآن الكريم.

سادسا: التناقض الإضافات التي أدخلت على القرآن بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم

وفي هذا يقول المستشرق بول كازانوفا في كتابه (محمد ونهاية العالم): "إن القرآن قد أضيف إليه بعد وفاة النبي ما دعت إليه الحاجة في نظريّ أبي بكر وعمر، مثل الآيات التي صرحت بأن الساعة من الأمور التي استأثر الله بعلمها، بعد أن لم يتحقق ما أخبر به النبي من أنها ستقوم عندما تنتهي مهمته، وقد يكون ذلك في حياته، أو على إثر موته مباشرة"21.

ثم يحاول البرهنة على أن النبي كان يعتقد ذلك بإهماله أمر الخلافة، بقوله: "فنعلن أن السبب في إهمال أمر الخلافة بسيط، وهو أن محمداً لم يفكر في أنه سيموت، وسيترك خلفاً من بعده، بل اعتقد أن نهاية العالم قريبة، وأنه هو سيشاهدها، هذه العقيدة بقرب نهاية العالم مسيحية محضة، ومحمد كان يقول عن نفسه: إنه نبي آخر الزمان الذي أعلن المسيح أنه سيجيئ يتمم رسالته"22.

واضح أن كازانوفا يبني رأيه على فرضيات واهية لا تستند إلى منهج علمي، وما حديثه عن الساعة إلا ادعاء باطل تنقضه روايات الجمع المتواترة التي تؤكد أن القرآن دُوِّن كما أُنزل دون زيادة أو تبديل. كما أن القول بأن النبي ﷺ كان يعتقد بقرب قيام الساعة في حياته يناقض نصوص القرآن نفسه، كقوله تعالى: ((يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ)) [الأعراف: 187]، مما يدل على وعي النبي بأن علمها مما استأثر الله به. وأما ربطه بين إهمال النبي أمر الخلافة وبين اعتقاده بقرب نهاية العالم، فيُظهر قصورًا في فهم طبيعة الشورى في النظام الإسلامي، التي تركها النبي ﷺ للأمة لتقررها بعده. كما أن دعواه بأن فكرة قرب نهاية العالم مسيحية الأصل، تتجاهل أن الإيمان بالبعث والآخرة عقيدة مشتركة بين الأديان السماوية، لا منقولة عن أحدها. وعليه، فإن استنتاجات كازانوفا تمثل تأويلات متعسفة تعكس نزعة أيديولوجية أكثر من كونها بحثًا علميًا موضوعيًا.

4. المبحث الثالث: مناقشة الدعاوى الاستشراقية في التناقض المزعوم في القرآن الكريم ونقدها

في هذا المبحث سنأتي على التفاصيل التي ادعى فيها المستشرقون وجود تناقض في القرآن الكريم

4. 1 المطلب الأول: نقد دعوى التناقض في القراءات القرآنية

إن من أبرز الأمور التي شنّ كثير من المستشرقون فيها الحرب على القرآن الكريم بدعوى التناقض، هي مسألة القراءات القرآنية، بل واجتهدوا أيما جهد في تأصيل هذا المفهوم والبحث عن مواضع التناقض بين القراءات، مهملين منهجية الحق، فخلطوا بين الشاذ والمتواتر، ولذلك أتوا بالغرائب، وإن كانوا يظنون بأنهم قد وجدوا مُدّخلا يدخلون فيه على القرآن الكريم بدعوى التناقض فيه.

ومن الجدير بالذكر أنّ القراءات القرآنية توقيفية من الله تعالى، فليس منشأ الاختلاف فيها عائداً إلى اجتهاد القراء ورسم الخط، لذلك فقد أخطأ المستشرق جولد زيهر أيما خطأ حينما ذهب إلى القول بأن السبب في اختلاف القراءات إنما يعود إلى خلوّ المصحف من النقط والتحريك، حيث يقول: "فاختلاف تحلية هيكل الرسم بالنقط، واختلاف الحركات في المحصول الموحد القالب من الحروف الصامتة، كانا هما السبب في نشأة حركة اختلاف القراءات في نص لم يكن منقوطاً أصلاً، أو لم تتحر الدقة في نقطه أو تحريكه"23.

ومع ذلك فقد عرض جولد زيهر عدة تناقضات في القراءات القرآنية – من وجهة نظره– وهو أكثر المستشرقين اطلاعا على القراءات على الاطلاق، لذلك سآتي بالأمثلة من دعواه التي قال فيها بأنّ هناك قراءات متضاربة أهون من غيرها، فمنها ما هو مجرد ترادف، ومنها ما فيه اختلافات بعيدة المدى، ومن الأمثلة على ذلك:

المثال الأول: قال جولد زيهر: "وهناك اختلافات بعيدة المدى، تحدثها أيضاً تغييرات لفظية، لا تقدم مجرد تأويل بسيط في الدلالة، أو توضيح لبعض المواضع المشكوك فيها... بل تقدم مسخاً تاماً للقراءة المشهورة، وابن مسعود هو السند المذكور كثيراً في مثل هذه القراءات، فهو يقرأ مثلاً آيتي ٤٥–٤٦ من سورة الصافات (يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ من مَعِينٍ) [الصافات: ٤٥] (صفراء لذة للشاربين) بدلاً من (بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ) [الصافات: ٤٦] وغير ذلك من الأمثلة"24.

وفي الرد على جولد زيهر يمكن القول بأن ثمة نقد عام يصلح لأغلب الأمثلة التي أوردها جولد زيهر في القراءات، فإن معظم ما أورده لا يخرج عن كونها قراءات شاذة جاءت مخالفة لقراءات متواترة مجمع عليها في المصحف العثماني، وإن أية قراءة جاءت مخالفة لسواد هذا المصحف تعتبر شاذة سواء أحدثت تغييراً في المعنى أم لم تحدث، وبالتالي فلا يعتد بها، ولا قيمة لها أمام القراءة المتواترة الواردة في ذلك المصحف، ولا تخرج تلك القراءات المنسوبة إلى ابن مسعود أو علي أو زيد أو غيرهم من الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم جيعا من كونها شاذة، وأخبار آحاد لا تثبت قرآنيتها، وإنما جاءت في سياق التفسير.

نقل السيوطي عن أبي عبيد صاحب فضائل القرآن: "إن القصد من القراءات الشاذة تفسير القراءة المشهورة، وتبيين معانيها، وذلك كقراءة عائشة وحفصة (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى صلاة العصر) وكقراءة ابن مسعود (والسارق والسارقة فاقطعوا أيمانهما) وكقراءة جابر (فإن الله من بعد إكراههن لهن غفور رحيم) فهذه الحروف وما شاكلها قد صارت مفسرة للقرآن"25. أما القراءة التي وردت في المثال، وهي قراءة (صفراء) بدلاً من (بيضاء) فهي أيضا شاذة، كما أشار إلى ذلك ابن خالويه26.

المثال الثاني: طار جولد زيهر فرحا لأنه وجد حسب ظنه مثالاً لبعض القراءات التي بينها تناقض في المعنى واختلاف لا يمكن معه الجمع بينها. يقول: "وقد يحدث أن يستبعد المعنى المفهوم من النص المشهور تماماً، ويوضع مكانه ما هو نقيضه، ويقدم مطلع سورة الروم ذكراً لإحدى العلاقات التاريخية المعاصرة التي يندر ورودها في القرآن (غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ) [الروم:2-3] فعلى التفسير المشهور تتضمن الآية انعكاس الأثر الذي تركه في نفس محمد – ﷺ – انتصار الفرس على الروم سنة 616م وقد وصل خبره إلى أهل مكة، وقد رحب المشركون بهزيمة النصارى، إذ كانوا يميلون إلى الفرس؛ أما محمد ﷺ فقد ساء تأثره من هزيمة النصارى، إذ كانوا على كل حال أقرب إلى عاطفته، ولكنه في الوقت نفسه عبر عن ثقته بأن الدائرة ستدور قريباً على الفرس، وسيستدير خط الحرب وجهة أخرى، وفي هذا يرى المسلمون دليلاً على نبوة محمد ﷺ، لأنه تنبأ بانتصار هرقل على الفرس سنة 625م وأخبر به على وجه التأكيد ... بيد أن الجميع لم يتفقوا على قراءة النص كما سبق، بل قُرئ أيضاً (غَلَبَتِ الروم) بالبناء للفاعل وهذا راجع إلى نصر أحرزه الروم تواً على قبائل عربية تقع على الحدود السورية في أدنى الأرض، (وهم من بعد غلبهم) من إضافة المصدر لفاعل (سَيُغْلَبُون) بالبناء المفعول في بضع سنين، ونرى أن في القراءة المشهورة والقراءة المخالفة لها تأويلين متغايرين تغايراً بعيداً، فالمنتصرون في القراءة المشهورة هم المنهزمون في القراءة المخالفة، والفعل المبني للفاعل في الأولى مبني للمجهول في الثانية، وإذا فهما قراءتان وتأويلان الجملة واحدة من كلام الله متعارضان إلى أبعد مدى"27.

والحقيقة أنّ القراءة التي جاء بها جولد زيهر كما هي عادته شاذة، كما أشار إلى ذلك ابن خالويه28. ولا يصح الاحتجاج بها على دعوى التناقض، لأنّنا في صدد قراءة شاذة مقابل قراءة متواترة. وعلى الرغم من ذلك فإن من المفسرين من بين عدم وجود تعارض في المعنى أصلاً حتى مع القراءة الشاذّة. قال أبو حيان: "وقرأ علي، وأبو سعيد الخدري، وابن عباس، وابن عمر، ومعاوية بن قرة، والحسن: غُلِبَتِ الرُّومُ: مبنيا للفاعل، سَيَغْلِبُونَ: مبنيا للمفعول وَالْجُمْهُورُ: مبنيا للمفعول، سَيَغْلِبُونَ: مَبْنِيًّا لِلْفَاعِلِ، وتأويل

ذلك على ما فسره ابن عمران: الروم غلبت على أدنى ريف الشام، يعني: بالريف السواد. وجاء كذلك عن عثمان، وتأوله أبو حاتم على أن الروم غلبت يوم بدر، فعز ذلك على كفار قريش، وسر المؤمنون، وبشر الله عباده بأنهم سيغلبون في بضع سنين. انتهى. فيكون قد أخبر عن الروم بأنهم قد غلبوا، وبأنهم سيغلبون، فيكون غلبهم مرتين"29. وقال الآلوسي: "فإنه يجوز تخالف معنى القراءتين إذا لم يتناقضا، وكون فريق غالبا ومغلوبا في زمانين غير متدافع فتأمل"30.

المثال الثالث: في قوله تعالى في سورة آل عمران: ((وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ)) [آل عمران: 161] يبرز جهل وحقد جولدزيهر، فهنا يأتي بقراءتين متواترتين ويتّهم القرآن بالتناقض وهذا نابع من أحد أمرين لا ثالث لهما: قصر فهمه وقلة بضاعته في القراءات وهذا في أحسن أحواله. وإما عن تعمّد للمغالطة وتبييت للعداء للقرآن وللدين. حيث قال: "ففي الآية 161 من سورة آل عمران وَمَا كَانَ لِنَبِي أَن يَغُلَ وردت في التفسير المأثور لتوضيح هذا التحذير أحوال، يؤخذ منها أن بعضهم شك في أن النبي عمل عملاً لم يخل من المؤاخذة تماماً في بعض أمور تافهة، فيقال: إنه بعد معركة بدر لم يجعل قطيفة حمراء ضمن الغنائم التي قسمها، ومرة أخرى حينما ابتعدت عن سواد الجيش طلائع وجهها لاستطلاع العدو، قسم ما غنمه من سرية معادية التقى بها على من حضر معه من المقاتلة فحسب، مهملاً الطلائع الذين تغيبوا بأمر منه. وإذاً فربما بدا غير لائق في نظر بعض المؤمنين أن يفسح المجال لأدنى افتراض ينسب إلى النبي عملاً غير صالح ولو على وجه السلب، وقد أزال هذا الإشكال كثيرون.... بقراءة الفعل مبنياً للمجهول (وَمَا كَانَ لِنَبِي أَن يُغَلّ) وبهذا حذفت من أول الأمر الريبة، أو الافتراض غير اللائق بإمكان أن يأتي الرَّسُول غير الحق"31.

يُظهر هذا المثال جهل جولدزيهر بعلم القراءات وتحيّزه ضدّ القرآن، إذ رأى في القراءتين المتواترتين (يَغُلّ ويُغَلّ) تناقضاً، مع أنهما متكاملتان في المعنى: فالأولى تنزّه النبي ﷺ عن الخيانة، والثانية عن مجرّد التهمة بها. فاتهامه للقرآن بالتناقض نابع إما من قصور فهمه للقراءات، أو من تعمّده التشويه بدافع عدائه المسبق للنصّ القرآني. وهذا ما يوضحه تماماً الإمام مكي بن أبي طالب إذ يقول: "قوله: {أَنْ يَغُلَّ} قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم بفتح الياء، وضم الغين، وقرأ الباقون بضم الياء وفتح الغين. وحجة من فتح الياء وضمّ الغين أنه نفى الغلول عن النبي، وأضاف الفعل إليه، ونفاه عنه أن يفعله، وقد ثبت أن الغلول وقع من غيره، فلا يحسن أن ينفي الغلول عن غيره، لأنه أمر قد وقع، وإنما ينفي الغلول [عنه]، وهي الخيانة في المغانم. فالمعنى: ما كان لنبي أن يخان من معه في الغنيمة".32.

المثال الرابع: في قوله تعالى: ((وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ)) [البقرة: 196] نفث جولدزيهر سُمّه في دعوى تناقض القرآن في القراءات القرآنية، معتبراً التناقض في هذه القراءة أهون من غيره، لأنه ينطلق من كلمتين مترادفتين، هما (أتموا وأقيموا) مشيرا بذلك إلى قراءة (وأقيموا الحج والعمرة لله) 33.

والحقيقة أن هذه القراءة التي يشير إليها جولد زيهر هي قراءة شاذة لا يصح الاحتجاج بها على التناقض. قال أبو حيان: "قرأ علقمة (وأقيموا الحج) وقرأ ابن مسعود (وأقيموا الحج والعمرة للبيت) قال أبو حيان وينبغي أن يحمل هذا كله على التفسير، لأنه مخالف لسواد المصحف الذي أجمع عليه المسلمون"34.

أما قضية الترادف التي يتحدث عنها، فإنه من المقرَّر عند المحققين من علماء اللغة والتفسير أنّ الترادف التام لا وجود له في القرآن الكريم؛ لأنّ اختلاف الألفاظ القرآنية ليس عبثًا، بل هو مقصود ليفيد دقّةً في المعنى وتمييزًا في الدلالة. فكل لفظٍ في القرآن وُضع في موضعه بميزانٍ محكم، بحيث لا يمكن استبداله بآخر دون أن يختلّ الإيقاع أو يتغيّر المعنى. وهذا من وجوه الإعجاز البياني في القرآن، إذ تتنوّع الألفاظ بحسب السياق والمقام لتمنح المعنى ثراءً ودقّةً لا نظير لهما في أي نصّ بشري.

4. 2 المطلب الثاني: نقد دعوى التناقض في المحكم والمتشابه

انشغل المستشرقون بمحاولة الطعن في انسجام النصّ القرآني ووحدته الموضوعية، وعدّوا قضية المحكم والمتشابه مدخلاً لإثبات ما أسموه بالتناقض في القرآن الكريم. وفي مقدمة هؤلاء جولدزيهر الذي استند في هذا السياق إلى قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ، فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ، وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ، وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: 7].

يرى جولدزيهر أنّ هذه الآية دليلٌ على اضطراب الخطاب القرآني، مدّعيًا أن النبي ﷺ كان يواجه نقدًا داخليًا حتى في حياته، وأن هذا الاضطراب قاده إلى الاعتراف بتقسيم القرآن إلى محكم ومتشابه. ويذهب إلى أنّ هذا التقسيم ليس وحيًا إلهيًا، بل محاولة بشرية من محمد ﷺ للتوفيق بين نصوص متعارضة، مما يجعله – بزعمهم – خاضعًا للتعديل والتبديل وفقًا للظروف والمتغيرات35.

إنّ هذا الزعم قائم على أساس باطل؛ إذ ينطلق من إنكار أصل الوحي الإلهي، وافتراض بشرية النصّ القرآني، فيُسقط على القرآن خصائص النقص والتناقض الملازمة للعمل البشري. ولو سلّمنا جدلاً بهذا المنطلق لانتفى الإعجاز القرآني جملةً، غير أنّ النصّ نفسه يبرهن على وحدته وتناسقه وسموه فوق حدود الفكر الإنساني.

ومن القضايا التي أثارت اهتمام المستشرقين في هذا السياق الحروف المقطّعة في أوائل السور، فقد رأوا فيها موضعاً للتشكيك والغموض، فحاول بعضهم تأويلها بعيدًا عن سياقها القرآني. فذهب نولدكه إلى أنّها ليست من القرآن في شيء، وإنما رموز لمجموعات من الصحف القديمة التي كانت متداولة قبل جمع المصحف العثماني، فزعم أنّ حرف الميم يشير إلى "صحف المغيرة"، والهاء إلى "صحف أبي هريرة"، والصاد إلى "صحف سعد بن أبي وقاص"، والنون إلى "صحف عثمان بن عفان"، ثم نُقلت هذه الرموز – بزعمهم – إلى المصحف نسيانًا أو خطأ36.

وهذا القول لا يقوم على دليل علمي ولا نقل صحيح، إذ كان الصحابة رضي الله عنهم أشدّ الناس حرصًا على حفظ القرآن وصيانته، وقد تلقوه بالسماع والتلقين المباشر من النبي ﷺ، وأجمعوا على ضبطه وحفظه، فلا يُتصور وقوع مثل هذا الخلل في نصّ توافرت له أعلى درجات التواتر والضبط.

أما المستشرق لوت فقد زعم أنّ الحروف المقطّعة ذات منشأ أجنبي، ورجّح تأثرها بالثقافة اليهودية عبر حساب الجُمّل37. وهو زعم مردود، إذ إنّ مذهب علماء الإسلام في هذه الحروف على قولين مشهورين: الأول: أنها من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه. والثاني: أنها جاءت للتحدّي، أي أن القرآن مؤلف من هذه الحروف نفسها التي يعرفها العرب، ومع ذلك عجزوا عن الإتيان بمثله. وفي كلا القولين ما يقطع ببطلان دعوى التأثير الأجنبي.

وقد بلغ ببعض المستشرقين – مثل إسبرنجر – أن جعل الحروف رموزًا مقلوبة لمعانٍ باطلة، فادّعى أنّ (طسم) مقلوبة من جملة تشير إلى "لا يمسه إلا المطهرون"، وأنّ (حم) رمز لجهنم لالتباس الحاء بالجيم!38. وهي تأويلات عبثية لا تمت إلى المنهج العلمي بصلة، وتكشف عمق الهوة بين نظرتهم النصّية المتعسفة وبين منهج التلقي العربي الإسلامي.

كما حاول بعضهم الاستدلال على التناقض المزعوم بين الآيات الكريمة، مثل قوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ [الصافات: 24]، وقوله سبحانه: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: 39]. وزعموا أنّ في الآيتين تناقضًا؛ إذ تنفي الثانية السؤال وتثبته الأولى. غير أن هذا من الجهل بأساليب اللغة العربية، لأنّ السؤال يرد على وجهين: أحدهما لاستخبار السائل، والثاني لتقرير المقرّ، فالسؤال في الآية الأولى من باب التقرير والإلزام بالحجة، لا من باب الاستفهام لطلب العلم، إذ الله سبحانه يعلم كل شيء علمًا مطلقًا، وإنما يسأل عباده يوم القيامة لتقوم الحجة عليهم بإقرارهم، لا لاكتساب علمٍ جديد.

ومن المواطن التي أثارها المستشرقون أيضًا قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ﴾ [الحج: 52]. فقد زعم بعضهم أن الشيطان يمكن أن يُدخل شيئًا في وحي الأنبياء، مستندين إلى الرواية المكذوبة عن "الغرانيق العلا". وهذا تأويل باطل، لأن المحكم الثابت أن النبي ﷺ معصوم، وأن القرآن محفوظ بحفظ الله تعالى. وقد بيّن العلماء، ومنهم الشيخ محمد متولي الشعراوي، أن التمني في الآية بمعنى القراءة، وأن "إلقاء الشيطان" المراد به محاولة إحداث لبس أو تشويش، لا التسلل إلى نص الوحي، إذ سرعان ما يُحكم الله آياته وينسخ ما يلقي الشيطان من شبهات، تأكيدًا لعصمة الرسالة وتنزيهًا للوحي عن كل باطل39.

ويشير الشعراوي – في تحليله لأسلوب المستشرقين – إلى أن غايتهم من إثارة دعوى التناقض هي سلب القرآن سمة الإعجاز، لأنّ الاعتراف بأنه كلام الله تعالى يستلزم تنزهه عن النقص والتناقض، ومن ثمّ فإن إثبات أي تناقض – ولو ظاهري – يُعدّ في نظرهم طريقًا لإثبات بشرية النصّ القرآني40.

أما تعدد المحكم والمتشابه في القرآن الكريم فليس موطن ضعف، بل من وجوه إعجازه؛ إذ في ذلك حكمٌ عديدة، منها41:

1. أن وجود المتشابه يدعو إلى التدبر والاجتهاد ويزيد في ثواب المكلَّف ببذل الجهد في الفهم.
2. أن اشتمال القرآن على أنواع الخطاب المختلفة يجعل كل مذهب يجد فيه ما يثير اهتمامه، فيقبل على دراسته، فتتجلى له المحكمات مفسرة للمتشابهات، وبذلك يهتدي للحق.
3. أن المتشابه يفتح باب التأمل العلمي والمعرفي، ويدفع إلى تعلّم علوم اللغة وأصول الفقه وطرائق التأويل، فيثري الحركة العلمية والفكرية في الأمة.
4. أن الخطاب القرآني يخاطب العوام والخواص معًا، فالمتشابه يناسب عقول العامة الذين يحتاجون إلى التدرج في الفهم، بينما المحكم يخاطب الخاصة الذين بلغوا مراتب اليقين والمعرفة.
5. ومن ثمّ فإن وجود المحكم والمتشابه مظهر من مظاهر الإعجاز في القرآن الكريم، لا وجهٌ للتناقض فيه، كما زعم المستشرقون، وإنما دليل على شمول الرسالة وتكاملها وخلودها عبر الأجيال.

4. 3 المطلب الثالث: نقد دعوى التناقض في النسخ

حاول المستشرقون أن يجدوا في مسألة النسخ ثغرة ضد القرآن الكريم لإثارة دعوى التناقض فيه، بزعم أن آيات القرآن يناقض بعضها بعضاً، وأن مفسري القرآن الكريم يقرّون بوجود هذه التناقضات، الأمر الذي ألجأهم إلى القول بالناسخ والمنسوخ.

يقول المستشرق شاخت: "ولا يتعارض مع حجية القرآن القاطعة كذلك أن بعض آياته المتأخرة تنسخ ما قبلها، سورة البقرة آية 106 وسورة النحل آية 103 وما بعدها، وكان هم المفسرين المتأخرين التخلص من المتناقضات العديدة الواردة في القرآن، والتي تصور لنا تدرج محمد في نبوته، إما بما عمدوا إليه من التوفيق بينها، وإما بالاعتراف بأن الآيات المتأخرة تنسخ ما قبلها، وذلك في الحالات التي يشتد فيها التناقض بين تلك الآيات"42.

يُلاحظ في هذا القول أن المستشرق شاخت ينطلق من منهج استشراقي استعلائي يقوم على إنكار الوحي الإلهي للقرآن الكريم، وافتراض تطورٍ بشري في التجربة النبوية، إذ يصوِّر النبي ﷺ – في زعمه – بوصفه مؤلفًا يتدرج في أفكاره وتشريعاته، لا نبيًّا يوحى إليه. ومن ثمّ يفسّر ظاهرة النسخ في القرآن على أنها محاولة بشرية للتخلّص من التناقض، لا تشريعٌ إلهي يراعي الحكمة والمصلحة وتدرّج التكليف.

وهذا الفهم يكشف عن سوء إدراكٍ لطبيعة النسخ في التشريع الإسلامي؛ فالنسخ لا يعني التناقض بحال، وإنما هو نقلُ المكلفين من حكم إلى آخر لحكمةٍ أرادها الله تعالى، كالتدرّج في التشريع أو مراعاة الظروف المتغيرة. كما أن القول بتعارض الآيات يناقض ما تقرّر في علم أصول التفسير من أنّ القرآن كلٌّ متكاملٌ يفسر بعضُه بعضًا، وأن ما يبدو من التعارض إنما هو تعارض ظاهري يزول بالتأمل في السياق وأسباب النزول ومقاصد الخطاب.

ومن ثمّ فإن دعوى شاخت لا تنهض علميًّا، لأنها تغفل خصوصية المفهوم القرآني للنسخ، وتتعامل مع النصّ بمنطقٍ تاريخيّ تجريدي، معزولٍ عن أدوات الفهم التي قرّرها العلماء المسلمون عبر قرون من البحث الدقيق. فالنسخ في القرآن ليس تناقضًا، بل إحكامٌ للحكمة التشريعية، كما قال تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ [البقرة: 106].

ومن هنا يتبيّن أن تفسير شاخت لظاهرة النسخ بوصفها دليلاً على التناقض لا يعدو كونه إسقاطًا فكريًّا غربيًّا على نصٍّ مقدّسٍ لا يُدرك بمعايير النقد الأدبي البشري، بل من خلال فهمٍ إيمانيٍّ ولغويٍّ ومنهجيّ راسخ يضع النص في سياقه الإلهي والتشريعي الصحيح.

أمّا جولدزيهر، فله البصمة الأوضح في ترسيخ دعوى التناقض في القرآن الكريم من خلال تأويله المنحرف لمفهوم النسخ، إذ جعل منه مدخلًا رئيسًا للطعن في ثبات الوحي وإلهيته. فقد زعم أن النسخ ليس تشريعًا إلهيًا مقصودًا، بل تعبير عن تطورٍ داخلي في شخصية النبي ﷺ وتبدّلٍ في مواقفه تبعًا لتغير الظروف. يقول في هذا السياق: "إنَّ الرسول نفسه قد اضطر بسبب تطوره الداخلي الخاص، وبحكم

الظروف التي أحاطت به، إلى تجاوز بعض الوحي القرآني إلى وحي جديد في الحقيقة، وإلى أن يعترف أنه ينسخ بأمر الله ما سبق أن أوحاه الله إليه، فإذا كان الأمر كذلك في عصر النبي فمن الأولى أن يكون كذلك –بل أكثر من ذلك– عندما تجاوز الإسلام حدود البلاد العربية وتأهب لكي يصير قوة دولية"43.

وهذا النص يُبرز بجلاء منهج جولدزيهر الذي يقوم على نفي مصدرية الوحي الإلهي، وردّ الدين إلى تجربة بشرية متحوّلة تخضع للتطور النفسي والاجتماعي. فالنسخ عنده ليس تدرّجًا تشريعيًا ربانيًا يراعي المصلحة ومراحل الدعوة، بل هو دليل على بشرية القرآن وتبدّل آراء النبي ﷺ مع مرور الزمن. ومن الواضح أن هذا الفهم يقوم على رؤية تسعى إلى علمنة النص القرآني وتجريده من طابعه الإلهي المطلق، إذ يُعامله جولدزيهر كما يُعامَل أي نصٍّ أدبي أو نتاجٍ ثقافي قابل للتطور. وهكذا أسّس لمنهجٍ استشراقيٍّ سار عليه من بعده عدد من المستشرقين، مثل شاخت ومونتغمري واط، الذين تبنّوا ذات الفكرة القائلة بوجود تطور وتناقض في الوحي، مستندين في ذلك إلى ما أصّله جولدزيهر في قراءته المادية للتاريخ الإسلامي، لا إلى فهمٍ علميٍّ رصينٍ لعلوم القرآن ومقاصده التشريعية.

5. الخاتمة

الحمد لله ربّ العالمين حمدًا يرضيه عنّا، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ النبيّ الأكرم، الذي أوتي جوامع الكَلِم من الله الكبير المتعال. أمّا بعد:

فإنّ الكشف عن دعاوى المستشرقين المتعلقة بالقرآن الكريم يُعدّ من أنبل ميادين البحث العلمي وأعظمها أثرًا، لما يمثله من دفاعٍ عن حياض الدين وصيانةٍ لكتاب الله العزيز من الشبهات التي أثارها المغرضون قديمًا وحديثًا. وقد جاءت هذه الدراسة لتُسهم في نقد النظرة الاستشراقية في دعوى التناقض في القرآن الكريم، من خلال تتبّع جذور هذه الدعاوى وتحليل مقاصدها وبيان تهافتها علميًّا ومنهجيًّا.

وفي ضوء ما عُرض من مباحث، أمكن استخلاص أبرز النتائج والتوصيات على النحو الآتي:

5. 1 أولًا: أهم نتائج البحث

1. تبيّن أنّ هناك تشابهًا كبيرًا بين أطروحات المستشرقين في دعوى التناقض في القرآن الكريم، رغم اختلاف انتماءاتهم القومية والثقافية.
2. لا يختلف المستشرقون في أصل الفكرة التي مفادها بشرية مصدر القرآن، وإنما في تحديد الكيفية والمصدر الذي استُقي منه، وهو اختلاف في التنوع لا في الاتجاه العام.

3. ثبت أن الاستشراق لم يكن حركة علمية خالصة النية، بل أداةً من أدوات الغرب لخدمة مصالحه في الشرق، وأن دوافعه في الغالب كانت سياسية وثقافية لا معرفية.
4. من أبرز أسباب قولهم بالتناقض في القرآن سوء فهمهم لطبيعة الدين الإسلامي وشمول رسالته، وجهلهم بمقام النبي ﷺ وعلاقته بالوحي الإلهي.
5. كانت دعوى التناقض في القراءات القرآنية من أبرز ما طرحه جولدزيهر، غير أنّ دراسته في هذا الباب تفتقر إلى المنهجية العلمية، وتشي بتعمّدٍ ظاهر لإثارة الشكوك في إعجاز القرآن وتناسقه.
6. كما اعتمد بعضهم على فكرة النسخ لتأكيد وجود التناقض، زاعمين أنّ النسخ صادر من النبي ﷺ لا من الله تعالى، وهو زعم مردود لا يصمد أمام أدلة العلماء الراسخة.
7. وقد تبيّن أن علماء الأمة قد تصدّوا لهذه الدعاوى تفصيلًا، فلم تبقَ شبهة استشراقية إلا وردّ عليها ردًّا علميًا دقيقًا يرسّخ حجية القرآن واتساقه.

5. 2 ثانيًا: أهم التوصيات

1. ضرورة التوسّع في الدراسات المقارنة التي تتناول العلاقة بين المستشرقين بعضهم ببعض، بهدف تتبّع مظانّ التأثير والتأثر بينهم، للرد على المدرسة الاستشراقية في أصلها الفكري لا في فروعها فقط.
2. الدعوة إلى إجراء دراسات تطبيقية أوسع تتناول أمثلة أكثر عمقًا وتنوعًا حول دعاوى التناقض، لاستكمال ما ضاق عنه المقام في هذه الدراسة.
3. اقتراح إعداد بحث متخصص في موقف المستشرقين من القراءات القرآنية، يُبرز تهافت منهجهم في التفريق بين المتواتر والشاذ، ويكشف عن قصورهم في إدراك علم القراءات وضوابطه.

وفي الختام، فإنّ هذه الدراسة تخلص إلى أنّ دعوى التناقض في القرآن الكريم دعوى باطلة من أساسها، نشأت من الجهل بحقائق الوحي وبمنهجه في البيان والتشريع، وأنّ ما توهّمه المستشرقون تناقضًا ليس إلا مظهرًا من مظاهر الإعجاز والتكامل القرآني الذي يربط بين الوحي والواقع، والعقل والتاريخ، والكون والإنسان.

الهوامش:

[1] الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان، دار الندوة العالمية للطباعة، (687/2).

[2] صالح باعثمان، منهج المستشرقين في دراسة القضايا القرآنية، جامعة الأزهر، ص11.

3 محمد الجليند، الاستشراق والتبشير قراءة تاريخية موجزة، دار قباء، 1999م، ص10.

4 مصطفى السباعي، الاستشراق والمسْتَشْرِقُونَ ما لهم وما عليهم، دار الوراق، ص7.

5 جمال الدين الكيلاني، فلسفة الاستشراق في ضوء القرن الواحد والعشرين، مكتبة المصطفى، ص12.

6 السباعي، الاستشراق والمسْتَشْرِقُونَ، ص18-19.

7 فاروق فوزي، الاستشراق والتاريخ الاسلامي، دار عمان الاهلية، 1998م، ص31-38.

8 قطب، واقعنا المعاصر، (ص161).

9 جولدزيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة: محمد موسى، دار الكتاب المصري، 1946م، ص9.

10 رودي باريت، محمد والقرآن، ترجمة: رضوان السيد، دار كولهامر، 2008م، ص150.

11 ألفريد جيوم، الإسلام، ترجمة: محمد هدارة وشوقي يماني، مكتبة النهضة المصرية، 1958م، ص 31.

12 المصدر نفسه، ص34.

13 ريجيس بلاشير، القرآن نزوله وتدوينه وترجمته وتأثيره، دار الكتاب العربي، 1974م، ص11-12.

14 هنري ماسيه، الإسلام، ترجمة: بهيج شعبان، منشورات عويدات، ص 101.

15 كامل صدقي، لقاء روحي بين القرآن والإنجيل والتوراة؛ تقديم شاكر، ص9.

16 التهامي نقرة، بحث (القرآن والمستشرقون)، ص40.

17 المصدر نفسه، ص7.

18 المصدر نفسه، ص10

19 جولد تسيهر: العقيدة والشريعة في الإسلام، ص15

20 وليام مونتغمري، محمد في مكة ومحمد في المدينة، ص269.

21 محمد غلاب، نظرات استشراقية في الاسلام، دار الكاتب العربي، 1967م، ص 87.

22 المصدر نفسه، ص 94.

23 جولدزيهر، مذاهب التفسير الاسلامي، ترجمة: عبد الحليم النجار، منشورات الجمل، 2016م، ص8.

24 المصدر نفسه، ص29.

25 جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974م، 1/279.

[26] الحسين بن خالويه، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، مكتبة المتنبي، ص128.
[27] ص (30-31)
[28] ابن خالويه، مختصر شواذ القرآن، (ص:117).
[29] أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، دار الفكر، 2000م، (374/8).
[30] محمود الألوسي، روح المعاني، دار الكتب العلمية، 1994م.
[31] جولد زيهر، مذاهب التفسير الإسلامي، (ص: 40).
[32] مكي بن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات السبع، مؤسسة الرسالة، 1981م، (363/1).
[33] جولد زيهر، مذاهب التفسير الإسلامي، (ص:26).
[34] أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، (2\255).
[35] جولدزيهر، العقيدة والشريعة في الاسلام، (ص79).
[36] غلاب، نظرات استشراقية في الإسلام، (ص43).
[37] المصدر نفسه، (ص:41).
[38] المصدر نفسه، (ص43).
[39] محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، 1997م، (1\3470-3471).
[40] محمد متولي الشعراوي، معجزة القرآن، دار المختار الإسلامي، 1978م، ص63.
[41] السيوطي، الإتقان، (3\37).
[42] دائرة المعارف الاسلامية، مراجعة من قبل وزارة المعارف، (3\448 مادة أصول).
[43] جولد زيهر، العقيدة والشريعة في الاسلام، (ص:41).

6. المصادر والمراجع

1. أحمد رضا، معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة (بيروت)، 1960م.
2. محمود الألوسي، روح المعاني، دار الكتب العلمية (بيروت)، 1994م.
3. ألفريد جيوم، الإسلام، ترجمة: محمد هدارة، وشوقي يماني، مكتبة النهضة (القاهرة)، 1958م.
4. باريت، رودي، محمد والقرآن، ترجمة: رضوان السيد، دار "كولهامر، 2008م.
5. صالح باعثمان، منهج المستشرقين في دراسة القضايا القرآنية، جامعة الأزهر، كلية أصول الدين بالمنوفية.

6. بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيه فارس ومنير بعلبكي، دار العلم للملايين (بيروت)، 1973م.
7. بلاشير، القرآن نزوله وتدوينه وترجمته وتأثيره، دار الكتاب العربي (بيروت)، 1974م.
8. موريس بوكاي، القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، مكتب النصر (القاهرة).
9. محمد الجليند، الاستشراق والتبشير قراءة تاريخية موجزة، دار قباء ، 1999م.
10. جوستاف بفانمولر، سيرة الرسول، ترجمة: حمدي زقزوق، مكتبة ابن تيمية (البحرين)، 1986م.
11. جولدزيهر، مذاهب التفسير الاسلامي، ترجمة: عبد الحليم النجار، منشورات الجمل، 2016م.
12. جولدزيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة: محمد موسى، دار الكتاب المصري، 1946م.
13. ألفرد جيوم، الإسلام، ترجمة: محمد هدارة وشوقي السكري، 1955م.
14. ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، المطبعة التجارية الكبرى.
15. ساسي الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي.
16. أبو حيأن الأندلسي، البحر المحيط، دار الفكر (بيروت)، 2000م.
17. الحسين بن خالويه، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، مكتبة المتنبي (القاهرة).
18. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر (بيروت)، 1414 هـ.
19. دائرة المعارف الاسلامية، مراجعة وزارة المعارف: دمحمد مهدي علام.
20. محمد عبد العظيم الزُّرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة.
21. مصطفى السباعي، الاستشراق والمسْتَشْرِقُونَ ما لهم وما عليهم، دار الوراق.
22. جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، [ت 1401 هـ].
23. الشافعي، الرسالة، ، مصطفى البابي الحلبي وأولاد (مصر)، 1938.
24. محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي – الخواطر، مطابع أخبار اليوم (القاهرة)، 1997م.
25. محمد متولي الشعراوي، معجزة القرآن، دار المختار الإسلامي (القاهرة)، 1978م.
26. سعيد عاشور، أوربا العصور الوسطى، التاريخ السياسي، مكتبة الانجلو المصرية (مصر)، 1975م.
27. محمد غلاب، نظرات استشراقية في الاسلام، دار الكاتب العربي، 1967م.
28. فاروق فوزي، الاستشراق والتاريخ الاسلامي، عمان الاهلية للنشر والتوزيع، 1998.
29. محمد قطب، واقعنا المعاصر، الطبعة الأولى.
30. كامل صدقي، لقاء روحي بين القرآن والإنجيل والتوراة؛ مقدمة شاكر.
31. جمال الدين الكيلاني، فلسفة الاستشراق في ضوء القرن الواحد والعشرين، مكتبة المصطفى للنشر.

32. ألفريد لوشاتليه، الغارة على العالم الإسلامي، ترجمة: مُساعد اليافي، منشورات العصر الحديث، 1387هـ.
33. مالك بن أنس، المدوّنة، الطبعة الأولى، 1415هـ - 1994م.
34. التهامي نقرة، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم –تونس.
35. مكي بن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها، مؤسسة الرسالة (بيروت)، 1974م.
36. فاروق النبهان، الاستشراق: تعريفه، مدارسه، آثاره، منشورات إيسيسكو، 2012م.
37. الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب، دار الندوة العالمية للطباعة.
38. هنري ماسيه، الإسلام، ترجمة: بهيج شعبان، منشورات عويدات (بيروت).
39. وليام مونتغمري، محمد في مكة ومحمد في المدينة.